التفسير النسوي الحداثي للقرآن الكريم

دراسة عن مفهوم العام والخاص عند آمنة ودود وأسماء برلاس

إعداد
د/محمود علي جمعة عفيفي
واعظ بمجمع البحوث الإسلامية ومحاضر منتدب بكلية الشريعة والقانون بالدراسة

التفسير النسوي الحداثي للقرآن الكريم

دراسة عن مفهوم العام والخاص عند آمنة ودود وأسماء برلاس

محمود علي جمعة عفيفي
قسم التفسير، كلية الشريعة والقانون بالدراسة ، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: mahmoudashal@gmail.com

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم تحليل لثنائية العام والخاص كما تتناولها المفسرات النسويات، ويسعى الباحث من خلال هذه الورقة الى إظهار تأثر المفسرات النسويات بالفلسفة الغربية في تناولهن لتعريف العام والخاص فيما يتعلق بالنص القرآني على نحو يناقض تعريف العام والخاص في التراث الإسلامي، حيث تعرِّف المفسرات النسويات الحداثيات العام من القرآن بأنه الصورة الأخلاقية الكلية المجرد ة في معناها وما يتعلق بها من قيم المحبة والتراحم والعدل الإلهي، بينما يمثل الخاص من القرآن عند النسويات ذلك السياق المجتمعي والتاريخي لزمان الوحي، كما يندرج تحت تعريف الخاص عند النسويات كل تفسير للقرآن نشأ في سياق تاريخي معين. وهذا التعريف وإن كان يقترب من تعريف الكليات والجزئيات في علم المقاصد إلا إنه يفارق التعريف المقاصدي فيما يتعلق بدور اللغة في تأويل النص القرآني من حيث كونه نصا عربيا معجزا من عند الله لفظا ومعنى. ويقوم الباحث بتقصي ثنائية العام والخاص في النظرية النسوية الحداثية لتفسير القرآن و إبراز ملامح الفلسفة الغربية في تعريف المفسرات النسويات لكل من العام والخاص، وذلك من خلال كتابات رائدتين من رائدات التفسير النسوي وهما آمنة ودود وأسماء بارلاس. وفي هذا الإطار يتبع الباحث منهجا يقوم على المقارنة بين مفهوم العام والخاص في التراث الإسلامي من جهة ونظير هذا المفهوم في التفسير النسوي عند ودود وبارلاس من جهة أخرى، وذلك لإظهار الفارق بين المفهومين وكذلك علاقة كل منهما باللغة وما تقتضيه هذه العلاقة من دلالات في التعامل مع النص القرآني، كما يقوم الباحث بتحليل ونقد مفهوم العام والخاص في التفسير النسوي وما يترتب على هذا المفهوم من أثار على العملية التأويلية وعلى مركزية القرآن كنص مقدس، ويخلص الباحث من هذا البحث إلى أن تأثر

المفسرات النسويات بالفلسفة الغربية في تعريفهن لثنائية العام والخاص أو الكلي والجزئي في القرآن – وإن لم يكن عيبا في حد ذاته – يثير إشكالية حول مسألة قدسية القرآن وهو الأمر الذي من شأنه أن يضعف حجية التفسير النسوي من بعض الوجوه ومن ثم عجز هذا النوع من التفسير عن إحداث تغيير حقيقي في واقع المرأة المسلمة، حيث يبقى خطابا نخبويا بلا أثر. ونظرا لزيوع هذا النوع من التفسير النسوي مع قلة البحث فيه فإن الباحث يوصي بتوجيه عناية الباحثين إلى بذل الجهد في دراسة التفسير النسوي والرد على حججه من داخل التراث الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: التفسير النسوي ، العام والخاص ، التفسير القرآني، أمينة ودود ،أسماء بارلاس ،الفلسفة الغربية.

The Modern Feminist Interpretation of the Qurʾān

A Study of the Concept of the General and the Particular in the Writings of Amina Wadud and Asma Barlas

Mahmoud Ali Gomaa Afifi

Department of Qurʾānic Exegesis and Sciences, Faculty of Law – Azhar University,Egypt.

Email: mahmoudashal@gmail.com

Abstract:

This paper offers an analysis of the binary of the general and the particular as conceptualized by the feminist interpreters of the Qurʾān. It aims to demonstrate how modern feminist exegetes, particularly Amina Wadud and Asma Barlas, have adopted frameworks influenced by Western philosophy in defining these categories in ways that depart significantly from their traditional treatment in Islamic legal and hermeneutical theory. The feminist interpreters characterize the "general" in the Qurʾān as an abstract moral ideal—encompassing values such as divine justice, compassion, and mercy—while the "particular" is understood as the specific historical and social context of the revelation, or any interpretation that arose in a given historical moment. Although this formulation bears a resemblance to the distinction between universals and particulars in the discipline of maqāṣid al-sharīʿa (the higher objectives of Islamic law), it diverges fundamentally in its treatment of language. The classical tradition regards the Qurʾān as a linguistically inimitable Arabic text, revealed in both word and meaning, while Islamic feminist interpretations often shift emphasis away from linguistic form to moral intent, which problematizes key assumptions about the sanctity of the Qurʾānic text. The study argues that the incorporation of Western philosophical categories into Islamic feminist interpretations—though not inherently illegitimate—raises substantial questions regarding the authority and sacredness of the Qurʾān. This, in turn, weakens the

epistemological force of feminist tafsīr in certain respects and contributes to its limited impact on the lived reality of Muslim women, rendering it, in many cases, an elite discourse with minimal social effect. The paper traces the conceptual structure of the general and the particular within modern feminist Qurʾānic hermeneutics and highlights the underlying influence of Western philosophy in shaping these categories. It does so through a critical reading of the writings of two of the most prominent figures in this field: Amina Wadud and Asma Barlas .

Keywords: Feminist Tafsīr , General and Particular , Qurʾānic Hermeneutics , Amina Wadud , Asma Barlas , Western Philosophy.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

برز تيار النسوية الإسلامية في ثمانينيات القرن العشرين، وهو تيار ينافح عن حقوق المرأة ويدعو إلى المساواة والعدالة الاجتماعية من منظور إسلامي، متخذا من النص القرآني مصدرا رئيسا لفهم مكانة المرأة في الإسلام. وقد اكتسب هذا التيار النسوي ذيوعا في العالم العربي والإسلامي في الآونة الأخيرة مع عقد ندواتٍ وورشِ عمل بل وتخصيصِ دراسات أكاديمية بالجامعات المصرية والعربية حول المسمى والنتاج الفكري لرائدات هذا التيار، بالإضافة إلى صدور أبحاث مترجمة للكاتبات النسويات المسلمات وإنشاء منصات وجمعيات أدبية لنشر المعرفة النسوية القرآنية. ومن أهم المنظمات الدولية التي تتبنى هذا التيار وتعمل على تقديم قراءات بديلة للنص القرآني وتتبني هذه القراءات في سعيها لتغيير قوانين الأحوال الشخصية في دول العالم الثالث، هي منظمة مساواة بدولة ماليزيا، والتي تضم تحت مظلتها رائدات العمل النسوي الإسلامي وفي القلب منهن المفسرات النسويات المسلمات.

ومن رحم هذا التيار الفكري، نشأت نظرية تأويلية للنص القرآني تعني بتأويل الآيات القرآنية التي تتعلق بأحكام المرأة المسلمة، وتعرف هذه النظرية في دائرة الأدبيات الغربية والعربية بنظرية التفسير النسوي الإسلامي للقرآن الكريم. والتفسير النسوي للقرآن هو نوع من التفسير الحداثي الذي يقر بقدسية القرآن ومصدره الإلهي، غير أنه يتعامل مع النص القرآني من منطلق الدِلالات الرمزية للغة وأن النصَّ حمالُ أوجه أو أن له ظهراً وبطناً، في محاولاتٍ فكريةٍ حثيثة لاستنطاق القرآن بفهوم حداثية تواءمُ العصرَ الحديث. ويقوم التفسير النسوي الإسلامي على التفرقة بين العام والخاص في القرآن، على اعتبار أن العام هو المعنى المقدس الذي أراده اللّهُ من النص والذي لا تنتهي تجلياته إلى يوم الدين باختلاف الزمان والمكان، بينما يتمثل الخاص في التفسيرات التاريخية المختلفة للقرآن عبر الأزمان، ومن ثم فإن التفسير النسوي يرى أن التفسيراتِ القديمة

منتجٌ تاريخي لا يتلاءم مع العصور المختلفة، وخاصة أن هذه التفسيرات – حسب النسويات – نشأت في مجتمعٍ ذكوري بل وهي المسؤولة في كثير من الأحيان عن تأسيسِ نظرةٍ دونيةٍ للمرأة المسلمة واضطهادها باسم الدين.

وتتناول هذه الورقة أهم الإشكاليات والأسئلة التي تدور حول اجتهادات التفسير النسوي للقرآن، والتي تقوم في مجملها على إخضاع النص القرآني لمناهج التأويل الغربية وخاصة فيما يتعلق بثنائية العام والخاص، وتركز الورقة على كتابات اثنتين من الرائدات في هذا المجال وهما: آمنة ودود وأسماء بارلاس.

أهمية الموضوع:

يسلط هذا البحث بصورة جزئية الضوء على المشروع الإسلامي النسوي وأثره في بلورة منهج تأويلي حداثي لتفسير القرآن الكريم. ويقوم التفسير النسوي الحداثي على اتخاذ الصورة الأخلاقية المقاصدية العامة لكتاب الله كمصدر أساسي في إعادة تأويل آيات القرآن الخاصة بالنساء. وتكمن أهمية هذا البحث في طرحه هذا الموضوع للمناقشة والدرس باللغة العربية حيث لم تحظ دراسة التفسير النسوي بالاهتمام الملائم من قِبَل من يعنون بالكتابة في مجال التفسير باللغة العربية، رغم اهتمام الكثير من الباحثين في الغرب بدراسة هذا النوع من التفسير ومراجعته وتقييمه. وقد صدر مؤخرا عدد من الكتب والأوراق البحثية المتعلقة بالنسوية الإسلامية باللغة العربية، و تؤصل هذه الكتب والأوراق لمنهج حداثي في نقد التراث الإسلامي وإعادة قراءته فيما يتعلق بقضايا القوامة والطلاق والحضانة والميراث، إضافة إلى العديد من ورش العمل والمؤتمرات والندوات التي تؤصل للمنهج النسوي وتناقش رؤيته النقدية للتراث الإسلامي. ومع هذا الزخم الثقافي والمعرفي للنسوية الإسلامية، فليس ثمة اهتمام تأصيلي متعمق بدراسة التفسير النسوي أو نقده أو الرد عليه في الدوائر العربية، سوى مقالة كتبها الشيخ حسن الشافعي قديما وفند فيها على نحو تأصيلي حجج المشروع النسوي ورسم فيها مسارات علمية مستقبلية لمن أراد أن يبحث في هذا المجال. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث كونه يناقش بصورة تأصيلية باللغة العربية بعض القضايا والمبادئ العامة التي يتبناها التفسير النسوي للقرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

تقوم النظرية النسوية الإسلامية في تفسير القرآن على التفرقة بين العام والخاص فيما يتعلق بالنص القرآني، غير أن هذه التفرقة مغايرة لمصطلحي العموم والخصوص عند المفسرين والأصوليين القدامى، حيث تعرف المفسرات النسويات العام من القرآن بأنه الصورة الأخلاقية التي تتمثل في مراد الله الذي لا يحويه نص ولا يحيط به واحد من الخلق، وإنما يستنبطه كل مفسر بمعان مختلفة حسب اختلاف الزمان والمكان، بينما يمثل الخاص عند المفسرات النسويات مجموع المعاني والتأويلات المختلفة التي يصل إليها العقل البشري عبر العصور المختلفة. وبالتالي يظل العام تلك الصورة الأخلاقية لما يظنه المفسر مراد الله والتي يعتمد عليها المفسر في رحلته للوصول إلى المعاني والتأويلات الخاصة للنصوص. ويترتب على هذا التعريف للعام والخاص أن العام يظل صورة مثالية مجردة موجودة خارج حدود اللغة والتجربة البشرية وتتمحور حول مقاصد وأصول الشرع العامة مثل العدل الإلهي والرحمة الإلهية، بينما ما ينبثق عن تأمل هذه المقاصد العامة من معان وتأويلات لغوية هو من قبيل الخاص الذي يعبر عن ظرف تاريخي معين وبالتالي ليس بالضرورة أن يكون صالحا لكل زمان ومكان. وكما ذكرت فإن هذا التعريف للعام والخاص فيما يتعلق بالنص القرآني عند المفسرات النسويات هو مغاير تماما لما اصطلح عليه من تعريف العموم والخصوص عند الأصوليين والمفسرين القدامى، حيث لا يترتب على التفرقة بين العموم والخصوص عند الأصوليين والمفسرين تعطيل النص أو قصره على الظرف التاريخي الذي نزل فيه سواء من حيث المعنى أو من حيث جهة الخطاب. وهذا الفارق في تعريف العام والخاص عند المفسرات النسويات على نحو مغاير لما اصطلح عليه عند الأصوليين والمفسرين هو ما دفعني لدراسة هذين المصطلحين عند النسويات وتحريرهما وبيان أثرهما في تأويل النص القرآني.

الدراسات السابقة:

التفسير النسوي للقرآن نوع من التفسير الحداثي الذي بدأت طليعته في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، والذي يقوم على ثلاثة أصول وهي مركزية النص القرآني كنص ذي معان إجمالية، وتاريخية النص القرآني،

والتشدد بل والتشكك في قبول المناهج والآراء التراثية التي تتخذ من القرآن مصدرها الأساسي والتي تتناولها كتب الحديث والتفسير والفقه. وينطلق التفسير النسوي من تلك الأصول الثلاثة، إلا أنه يضفي على عملية التأويل بعدا أخلاقيا يهدف إلى قراءة النص القرآني ليس فقط عن طريق التحرر من الموروث واللغة كما هو الحال في التفسير الحداثي بل وكذلك من خلال إخضاع النص إلى النقد التاريخي من جهة وإعادة تأويله من جهة أخرى بما يتناسب مع ما يراه المفسر محققا للقيم الأخلاقية العليا التي هي مقصد الشارع في مراعاة أحوال البشر. وهناك العديد من الدراسات النقدية التي قام مؤلفوها بتحليل الخطاب النسوي ومقارباته في تفسير القرآن.

ومن هذه الدراسات بل وأهمها كتاب صادر عن هيئة كبار العلماء بقلم الشيخ الدكتور حسن الشافعي تحت عنوان "حركة التأويل النسوي للقرآن والدين وخطرها على البيان العربي" وهذا الكتاب هو امتداد لورقة بحثية قدمها الشيخ في مؤتمر بإنجلترا ونشرت مترجمة بمجلة الدراسات القرآنية تحت عنوان "الرد على التفسير النسوي للقرآن"، وفي هذه الورقة البحثية ينتقد الشيخ الشافعي المنهج النسوي في تفسير القرآن بتبني مناهج الهيرمونطيقا الغربية وفرضها على النص القرآني دون مراعاة ضوابط التأويل التي وضعها الأصوليون بل والتنكر للتراث والسنة النبوية والحضارة الإسلامية والانطلاق من مزاعم الغرب بأن الإسلام يؤسس لمجتمع ذكوري يظلم المرأة وينتقص من حقوقها. ويوضح الشيخ الشافعي أن التفسير النسوي تأثر بتلك النزعة الغربية في محاربة التراث والقول بتاريخينية النصوص المقدسة كونها نزلت في سياق تاريخي واجتماعي مخصوصين، ومن ثم الدعوة إلى نسبية التأويل وتعدد المعاني بتعدد السياق دون النظر إلى اللغة وضوابطها [(١)] .

ومن الدراسات العربية التي اهتمت بمناقشة التفسير النسوي بحث بعنوان "النسوية والقرآن رؤية نقدية لكتابات آمنة ودود" لأسامة عبد الرحمن المراكبي،

(١) حسن الشافعي، حركة التأويل النسوي للقرآن والدين، هيئة كبار العلماء: مجمع مطابع الأزهر الشريف، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠. Hasan al-Shafi'i: The Required Response to Feminist Reinterpretations of the Qur'an - quranica

وفيه يتناول المراكبي كتاب آمنة ودود "القرآن والمرأة" بالتحليل والنقد، ورغم أن البحث أشار إلى الإشكالية اللغوية التي يثيرها المنهج النسوي في التفسير، إلا أن جل اهتمام المؤلف تركز حول أثر رفض ودود للتراث الإسلامي بروافده من الحديث والفقه والتفسير في ضعف المنهج النسوي التأويلي ومن ثم الخروج بتأويلات غريبة [١].

ومن الدراسات العربية كذلك التي عنيت بالتفسير النسوي وخاصة كتاب "القرآن والمرأة" لودود بحث بعنوان "منطلقات الانحراف الفكري لدى آمنة ودود في كتابها القرآن والمرأة" لفرج الزبيدي، ويقتصر البحث على مناقشة المنطلقات الفكرية للتفسير النسوي كما هي مقررة في كتاب ودود والرد على ما يراه المؤلف من انحرافات وردت بالكتاب وذلك فيما يتعلق بقضايا المرأة، والبحث في جله ينتقد تنكر ودود للتراث الإسلامي كرافد من روافد التفسير ورمي هذا التراث بالذكورية وظلم المرأة.[٢] وهذه الدراسات رغم محاولتها القيمة إلا أيا منها لم يسلط الضوء على المقاربة اللغوية التي تتعلق بمفهوم العام والخاص لدى المفسرات النسويات.

كما واجه الخطاب النسوي ومنهجه في تفسير القرآن نقدا من داخل المشروع النسوي ذاته من خلال كاتبات نسويات مثل عائشة هداية اللّٰه وعائشة تشاودري وكيشا علي واللاتي ينتقدن تجاهل المنهج النسوي التأويلي لدور اللغة في تحديد معاني النص القرآني.[٣] وكذلك ترى أميمة أبو بكر، وهي من رائدات الفكر

(١) أسامة عبد الرحمن المراكبي، النسوية والقرآن رؤية نقدية لكتابات آمنة ودود، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، العدد الثالث، المجلد الخامس، ٢٠١٩

(٢) فرج الزبيدي، منطلقات الانحراف الفكري لدى آمنة ودود في كتابها القرآن والمرأة، المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، المجلد ١٨، العدد الرابع، ٢٠٢٢.

(3) Ayesha Chaudhry, Domestic Violence and the Islamic Tradition: Ethics, *Law, and the Muslim Discourse on Gender* (Oxford Islamic Legal Studies: Oxford University Press, 2013, Ayesha Siddiqua Chaudhry, "The Problems of Conscience and Hermeneutics: A Few Contemporary Approaches," *Comparative Islamic Studies* 2, no. 2 (2008), Karen Bauer, *Gender Hierarchy in the Qur'an: Medieval Interpretations, Modern Responses* (Cambridge Studies in Islamic Civilization. New York, New York: =

الإسلامي النسوي، أن موقف التفسير النسوي من اللغة من شأنه أن يفرغ النص القرآني من محتواه اللفظي إلى درجة يتحول معها النص إلى مجرد دلالات رمزية وإشارية [١].

ورغم أن نصر حامد أبو زيد – صاحب أطروحة هيرمونطيقا القرآن – ينتقل بعملية التأويل من اللغة إلى الثقافة والواقع، إلا أنه ينتقد المناهج التفسيرية الحداثية التي تفتقد التأصيل الرصين وتعتمد على التلفيق بين الآراء إلى درجة يصبح فيها النص وعاءا فارغا من الدلالة يقوم المفسر بملأه بما شاء من المعاني دون ضابط.[٢] وهناك دراسات أخرى ترى أن التفسير النسوي ضرب من الترف الفكري يسعى إلى لي عنق النص وتحميله معان غريبة عنه دون التحقق من مدى تلبية هذه المعاني لاحتياجات المرأة المسلمة [٣].

وتدور كل هذه الدراسات حول افتقار التفسير النسوي إلى منهج يراعي الضوابط اللغوية للنص من جهة ويربط العملية التأويلية بالواقع المعاش للمرأة المسلمة من جهة أخرى، وتعني الورقة البحثية التي بين أيدينا بالشق اللغوي حيث يسعى الباحث إلى إظهار مدى تأثير تهميش دور اللغة في التفسير النسوي سلبا

Cambridge University Press, 2015), Aysha A. Hidayatullah, *Feminist Edges of the Qur'an* (New York, NY: Oxford University Press), 2014.

(1) Omaima Abou-Bakr, "The Interpretive Legacy of Qiwamah as an Exegetical Construct," in *Men in Charge*, eds. Ziba Ziba. Mir-Hosseini, Mulki Al-Sharmani, and Jana Rumminger (Oneworld Publications, 2015).

(٢) نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، الطبعة الثانية ١٩٩٤.

(3) Lila Abu-Lughod, Do Muslim Women Need Saving? (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2013), Celene Ibrahim, "Verse 4:34 Abjure Symbolic Violence, Rebuff Feminist Partiality, or Seek Another Hermeneutic?" in *Muslim Women and Gender Justice: Concepts, Sources and Histories*, eds. eds. Dina al-Omari, Juliane Hammer, and Mouhanad Khorchide (Routledge: London and New York, 2020), Kecia Ali, *Sexual Ethics and Islam: Feminist Reflections on Qur'an, Hadith, and Jurisprudence* (Oxford: Oneworld, 2006).

على قدسية النص القرآني، وخاصة من خلال المقاربة النسوية لتعريف العام والخاص.

منهج البحث:

يقوم الباحث في هذه الورقة بمقارنة مفهوم العام والخاص في التراث الإسلامي بنظيره في التفسير النسوي لإظهار الفارق بينهما وكذلك علاقة كل منهما باللغة وما تقتضيه هذه العلاقة من دلالات في التعامل مع النص القرآني، كما يقوم الباحث بتحليل ونقد مفهوم العام والخاص في التفسير النسوي وما يترتب على هذا المفهوم من أثار على العملية التأويلية وعلى مركزية القرآن كنص مقدس من عند الله لفظا ومعنى، وفي هذا الإطار يطرح الباحث عددا من الأسئلة النقدية بهدف توجيه عناية الباحثين إلى بذل الجهد في دراسة التفسير النسوي والرد على حججه في نقد التراث الإسلامي فيما يتعلق بقضايا المرأة.

خطة البحث:

- المقدمة: أهمية الموضوع وأسباب اختيار الموضوع والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطته.
- نبذة عن آمنة ودود وأسماء بارلاس.
- مبادئ التفسير النسوي .
- تعريف العام والخاص في التراث الإسلامي .
- العام والخاص في فلسفة التأويل الغربية .
- العام والخاص في التفسير النسوي .
- ثلاثة عناصر في عملية التأويل.
- خاتمة.

نبذة عن آمنة ودود وأسماء بارلاس

ولدت آمنة ودود عام ١٩٥٢ بالولايات المتحدة، واعتنقت الإسلام عام ١٩٧٢ ووجدت فيه منقذا لها من القمع الذي عانت منه كامرأة سوداء، درست ودود اللغة العربية والدراسات الإسلامية بالجامعة الأمريكية وجامعة الأزهر بمصر، وحصلت على الدكتوراة في الدراسات العربية والإسلامية من جامعة متشيجن ١٩٨٨. من أشهر مؤلفاتها كتاب "القرآن والمرأة" وكتاب "داخل جهاد النوع"، وأمت المصلين في صلاة الجمعة في جنوب أفريقيا والولايات المتحدة مثيرة جدلا واسعا حول إمامتها للصلاة كامرأة، وهي من المؤسسات لجمعية أخوات الإسلام في ماليزيا والتي خرجت من رحمها فيما بعد حركة مساواة وهي حركة إسلامية عالمية تعني بتأويل المعرفة الدينية من منظور نسوي وكذلك تعمل على إصلاح قوانين الأحوال الشخصية بالعالم الإسلامي والعربي.

ولدت أسماء بارلاس سنة ١٩٥٠ في باكستان، وحصلت على الإجازة في الأدب الإنجليزي والفلسفة، وشهادة الماجستير في الصحافة في باكستان، وشهادة الدكتوراه من المدرسة العليا للدراسات الدولية في جامعة دنفر الأمريكية بكولورادو. وفي عام ١٩٧٦ أصبحت بارلاس من أوائل النساء الدبلوماسيات اللواتي يعملن في وزارة الخارجية الباكستانية، لكنها أُقيلت من منصبها في الوزارة بعد اتهامها بانتقاد الجنرال ضياء الحق ونظامه. أصدرت بارلاس مجموعة من الأعمال من أبرزها كتابها المعنون "المؤمنات في الإسلام: إعادة قراءة التفاسير الذكورية للقرآن" (٢٠٠٢) الذي يعالج ما تراه سياسات النوع في النص الديني واستغلال المعرفة الدينية لقمع المسلمات. وأصدرت نسخة جديدة عام ٢٠١٩ بمثابة مراجعة لبعض أرائها في النسخة القديمة. كما تحاول من خلال أعمالها الترويج لفكرة أن التفاسير القديمة أسهمت في تبرير الإبقاء على بنيات دينية واجتماعية تقمع النساء في المجمل. وتشدد بارلاس على ضرورة إعادة تفسير القرآن فيما يتعلق بقضايا وإظهار موقفه الرافض حسب زعمها للنظام الذكوري وعدم المساواة بين الجنسين. وتؤكد بارلاس على أن القرآن يقر بالمساواة الكاملة بين الجنسين، ويجعلها ممكنة.

مبادئ التفسير النسوي

ارتبط ظهور التفسير النسوي للقرآن بظهور الحركة النسوية الإسلامية في أواخر القرن العشرين على أيدي مفكرات لُقِبن فيما بعد بالنسويات المسلمات، والنسويات المسلمات عالمات يسعين إلى مناهضة ما أسمينه ذكورية التراث الإسلامي ويدعون إلى الاستناد إلى المبادئ الأخلاقية العامة للقرآن الكريم في تحقيق المساواة بين الرجال والنساء في الفضائين العام والخاص. ومن أبرز اللواتي تولين هذا النهج النسوي في تفسير القرآن ونافحن عنه آمنة ودود وأسماء بارلاس وعزيزة الحبري ونعمات برزنجي ورفعت حسن وأخريات.

وقد أسس هؤلاء لنزعة تأويلية تهدف إلى الاشتباك النقدي مع الموروث الإسلامي وتفكيكه وبخاصة التفسير والفقه، ومن ثم إعادة تأويل النصوص الدينية الخاصة بالمرأة من خلال مناهج حداثية غربية، حيث يقوم المفسرات النسويات بإعادة تشكيل هذه المناهج ضمن إطار نظري عام يستند في إلى المباديء الأخلاقية العامة للقرآن الكريم.

وتستمد النظرية التأويلية للنسوية الإسلامية أصولها من نظرية "الحركة الازدواجية" لفضل الرحمن مالك، وهي النظرية التي تؤسس لمشروع تأويلي إسلامي يجعل من القرآن موقعا مركزيا لإعادة تفسيره بما يتناسب مع الواقع المعاصر. ويرى فضل الرحمن أولا أن الفقهاء والمفسرين القدامى أخفقوا في التعامل مع النص القرآني كوحدة موضوعية وأنهم تعاملوا مع آيات القرآن كجزر منعزلة، مما جعل تفسيراتهم للنص القرآني خالية من أي رؤية أخلاقية شمولية للواقع ومتطلباته المتغيرة عبر العصور. وتقوم نظرية "الحركة الازدواجية" لتأويل النص القرآني – كما يقول فضل الرحمن – على مبدأين أو حركتين أساسيتين:

الحركة الأولى هي أن يقوم المفسر أولا بدراسة السياق التاريخي الاجتماعي للنص القرآني ومن ثم فهم النص في ضوء هذا السياق، ثم استنباط المبدأ الأخلاقي العام أو الحكمة العليا للنص بعيدا عن المؤثرات التاريخية والاجتماعية المحيطة به وما نشأ حوله من تأويلات مختلفة عبر العصور.

الحركة الثانية هي أن يحمل المفسر ما فهمه واستنبطه من المعاني الأخلاقية العامة وراء النص في المرحلة الأولى، ثم يعود بهذا الفهم على الواقع المعاصر، فيفسر النص بما يتلاءم مع الواقع في ظل المبادئ القرآنية الأخلاقية العامة.[١]

ويتبين من خلال هذه النظرية أن تفسير القرآن يقوم على مقدمتين أساسيتين، الأولى هي تاريخينية النص والثانية هي البحث في المعنى الأخلاقي من وراء النص وهذه المقدمة الثانية هي الأساس في عملية التأويل حسبما يقول فضل الرحمن، وقد اعتمدت المفسرات النسويات على هاتين المقدمتين في تناولهن لمعنى العام والخاص في القرآن، على أن يمثل الخاص من القرآن سياقه التاريخي بينما يمثل العام منه ذلك المعنى الأخلاقي المجرد من كل المؤثرات التاريخية والاجتماعية وكذلك ما نشأ حوله من تأويلات في أزمان مختلفة.

وفي هذا الإطار يمكن القول بأن التفسير النسوي يندرج تحت ما يسمى بنظرية "تأويلية الارتياب" أو (hermeneutics of suspicion) لبول ريكور، والتي تشبه ما يعرف في التراث بالتفسير الباطني، حيث تقوم هذه النظرية على تجريد النص من سياقه التاريخي والاجتماعي وما نشأ حوله من تفسيرات قديمة، بل وتحرير النص من علاقاته اللغوية ومن ثم البحث في معانيه الباطنة بصورة لا محدودة وبقدر ما يستطيعه المفسر من فهم وإدراك لهذه المعاني.[٢] وتؤكد بارلاس على هذا المنهج التأويلي في مقاربتها للتفسير النسوي حيث تقول بضرورة "تجريد النص القرآني وعزله عن التفسيرات القديمة وما نشأ حوله من علوم الحديث والفقه، والقيام بمراجعات نقدية لأبواب الشريعة وأصول الفقه على نحو يمكن معه

(1) Fazlur Rahman, *Islam and Modernity:* Transformation *of an Intellectual Tradition* (Publications of the Centre for Middle Eastern Studies; 15. Univ. of Chicago Press, 1982), 7, 8.

(2) Paul Ricoeur, *Hermeneutics and the Human Sciences:* Essays *on Language, Action and Interpretation*, edited by John B. Thompson, 93–106 (Cambridge Philosophy Classics. Cambridge: Cambridge University Press, 2016).

الوصول إلى قراءات بديلة وحديثة للنص القرآني."[١] وقد خصصت بارلاس الفصل الثالث من كتابها "المؤمنات" للقدح فيما أسمته بتقديس المسلمين للتراث الإسلامي من فقه وتفسير وحديث والتي لا تعدو – حسب زعم بارلاس – كونها مجرد تأويلات تاريخية للنص القرآني[٢].

وقد سبقت ودود بارلاس إلى هذا الطرح، حيث ترى ودود أن التفاسير القديمة للقرآن قد تأثرت بما أسمته "النص السابق" في ذهن المفسر، وتقصد بذلك أن المفسرين القدامى انطلقوا في تفسيراتهم من موروث علمي متأثر بثقافة القرن السابع الميلادي في شبه الجزيرة العربية، وبالتالي خرجت هذه التفاسير متأثرة بذلك السياق. بمعنى أخر، أن هذه التفاسير القديمة هي مجرد تأملات علمية للمفسر محدودة بحدود الزمان والمكان، ومن ثم فهي تحد من شمولية الرسالة الإلهية وتجعلها حبيسة لآراء المفسر الخاصة وسياقه الذي نشأ فيه.[٣] كما ترى ودود أن التفاسير القديمة هي تفاسير ذكورية تعكس تحيزات المفسرين لجنس الرجل حيث يطالب هؤلاء المفسرون في تفسيراتهم – كما تقول ودود – بحق الكرامة لأنفسهم (جنس الرجال) بينما ينكرون هذا على الحق على النساء،[٤] وبالتالي فإن التفاسير القديمة – بحسب ودود – سعت وتسعى إلى تقييد حرية المرأة في المجتمعات الإسلامية ثقافيا وتاريخيا[٥].

وتزعم ودود أن قصور التفاسير القديمة وإخفاقها في هذا الجانب لم يكن ناتجا فقط عن أراء المفسرين وتحيزاتهم الذكورية الأبوية، وإنما يرجع هذا القصور

(1) Asma Barlas, *Believing Women in Islam: Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'an*, revised edition (The University of Texas Press: Austin, 2019), 65.

(٢) المرجع السابق، الفصل الثالث.

(3) Amina Wadud, *Qur'an and Women: Rereading the Sacred Text from a Woman's Perspective* (Oxford University Press: New York, 1999), 95.

(4) Wadud, *Qur'an and Women*, 96, 71.

(5) Amina Wadud, "The Ethics of Tawhid over the *Ethics* of Qiwama," in *Men in Charge*, eds. Ziba Ziba. Mir-Hosseini, Mulki Al-Sharmani, and Jana Rumminger (Oneworld Publications 2015), 412 – 439, 420.

وهذا الإخفاق أيضا إلى طبيعة النص القرآني نفسه من حيث كونه مكتوبا بلغة بشرية وهي اللغة العربية.[١] ومن هنا فإن ودود تميل إلى تفسير القرآن وخاصة آيات النساء من خلال القرآن نفسه ولكن ليس كنص وإنما كمصدر ذي دلالات رمزية شمولية تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية للجنسين المرأة والرجل على حد سواء.[٢] ولذلك فإن ودود كمفسرة تهتم بالبحث في الحكم والمقاصد العليا من وراء النص، وتستند إلى مبدأ التدرج أو التطور في التشريع كأصل من أصول التفسير، حيث ترى ودود على سبيل المثال أن بعض آيات الأحكام يجب أن تكون مقيدة بسياقاتها التاريخية والاجتماعية في القرن السابع الميلادي بشبه الجزيرة العربية، وأن هذه الآيات يجب إعادة تأويلها بما يتناسب مع تطور المجتمعات الإنسانية، ومن ثم النظر إلى النص القرآني باعتبار ما يشير إليه من دلائل ومقاصد تهدف من وراءه إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وصيانة الكرامة الإنسانية.[٣] تقول ودود فيما يتعلق برؤيتها التأويلية للنص القرآني أن الإصلاح يبدأ "من المحتوى اللغوي للنص ثم إعادة قراءة النص بالنظر في المقاصد العليا من وراءه وخاصة تلك النصوص المتعلقة بقضايا المرأة كالتعدد والطلاق والميراث وأحكام الشهادة"[٤].

ومن هنا نجد أن القرآن يشغل موقعا مركزيا في قلب المشروع النسوي، حيث يمثل القرآن، وبخاصة مقاصده الأخلاقية، بالنسبة للمفسرات النسويات مصدرا أساسيا وحصريا للمعرفة النسوية الإسلامية، بينما يتشككن في حجية الحديث والعلوم التأويلية الأخرى وبالتالي فلا يقبلن في تأويلاتهن بالمعرفة الحديثية ولا بالمصادر الإسلامية الأخرى كالتفسير والفقه.

ونستخلص مما سبق أن التفسير النسوي يستند في مقاربته التأويلية للقرآن إلى مقدمتين أساسيتين، هما تاريخينية النص واستنباط المعاني الأخلاقية من وراء النص، وترتبط هاتان المقدمتان بالبعد الأخلاقي للتفسير النسوي، وتتناول ودود ملامح هذا المنهج التأويلي بشيء من التفصيل حيث تقول أن كل نص قرآني يجب

(1) Wadud, *Qur'an and Women*, 95.
(2) Wadud, *Qur'an and Women*, ch. 4.
(3) Wadud, *Qur'an and Women*, 63, 78 – 79.
(4) Wadud, *Qur'an and Women*, 82.

أن يتم تأويله "في سياقه، وفي سياق النصوص القرآنية الأخرى المتعلقة بهذا النص، وفي ضوء اللغة ومبانيها المختلفة واستخداماتها المتنوعة في مجمل النص القرآني، وفي ضوء المقاصد الكلية والنظرة الشمولية للقرآن كمصدر إلهي"[١].

وتؤكد بارلاس هذا البعد الأخلاقي في التأويل حيث تقول أنها عند تأويل النص القرآني فإنها تميل إلى أن تقرأ القرآن كنص لغوي أولا، ثم تنظر في السياق التاريخي للنص وأسبابه والحكمة من وراءه، ثم تمضي قدما بما استخلصته من هذه القراءة التاريخية فيما وراء النص إلى قراءة الواقع. وتضيف بارلاس قولها: "عندما أقوم بقراءة القرآن كنص لغوي، أسعى دائما إلى الوصول إلى مراد الله، وعندما أقرأ القرآن في ضوء سياقه التاريخي، أسعى إلى إعادة بناء وفهم هذا السياق التاريخي الذي نشأ فيه النص في زمان الوحي، وعندما أقرأ النص في ضوء الواقع المعاصر، أسعى إلى إعادة تأويله بما يتناسب واحتياجات العصر"[٢].

ونستخلص مما سبق من أراء أن المقاربة التأويلية التي تتبناها كل من ودود وبارلاس تعتمد على النظر فيما وراء النص وليس النص ذاته، بل ترى كلتيهما أن النص من حيث لغته قد يحول بين المفسر وبين إدراكه للرؤية الأخلاقية العامة للنص ومقصده الإلهي.

وتزعم ودود وبارلاس أن مقاربتهما التأويلية لا تعني الاستغناء عن النص وإنما العمل الدؤوب والجاد على الاستفادة من تعدد معاني الألفاظ في اللغة العربية وذلك باستخراج المعاني الباطنة التي يصعب الوصول إليها من خلال المعنى الظاهر للألفاظ، حيث يقوم المفسر بالنظر فيما وراء النص من حكم إلهية عليا ثم يعود بهذا النظر على الواقع المعاصر ومن ثم يعيد تفسير النص بما يتناسب مع مقتضيات العصر [٣].

(1) Wadud, *Qur'an and Women*,5.

(2) Asma Barlas, *Believing Women in Islam: Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'an* (Austin: University of Texas Press, 2002),21 – 23.

(3) Wadud, *Inside the Gender Jihad*, 204 – 205, and Barlas (2002), *Believing Women in Islam*, 18.

ويرى الباحث هنا أن هذا المنهج النسوي يسعى إلى إخضاع النص القرآني إلى ما قد يراه المفسر تعبيرا عن المراد الإلهي والمقصد الأخلاقي للقرآن دون ضوابط منهجية رصينة. كما أن هذا المنهج النسوي يثير تساؤلات تتعلق بمدى صحته وقدرته على ضبط العلاقة بين ألفاظ النص ومعانيه، وتساؤلات أخرى بشأن موضع النص ومكانته في عملية التأويل. بعبارة أخرى، كيف للقارئ أن يتحقق منهجيا من أن التفسير النسوي لآية ما يعكس المقصد الإلهي وليس مجرد تعبيرا عن أراء المفسر الشخصية؟[1] وقد حاول المفسرات النسويات التأصيل لإطار نظري منهجي لضبط هذه العلاقة بين اللفظ ومعناه داخل القرآن من خلال التفرقة بين العام والخاص، حيث إن المفسرات النسويات يعرفن العام بأنه الصورة الأخلاقية المتمثلة في مقاصد القرآن العليا، كما يعرفن الخاص بأنه مجموع العبارات التي تدل على هذه المقاصد الأخلاقية القرآنية عبر الأزمنة المختلفة، دون أن تنحصر معاني هذه المقاصد الأخلاقية في العبارات بما فيها عبارات النص القرآني.

---

(1) Ingrid Mattson, *The Story of the Qur'an: Its History and Place in Muslim Life*, second edition (John Wiley & Sons, Ltd, 2013), 193.

تعريف العام والخاص في التراث الإسلامي

يتضح مما سبق أن هناك فرقًا بين تعريف العام والخاص عند الأصوليين ونظيرِ ذلك التعريف في الفلسفة الغربية التأويلية.

وكما هو مبين في كتب أصول التفسير فإن القرآن به عام وخاص، عام يراد به العموم وهو كثير كما يقول الزركشي[١]، وعام يراد به الخصوص وخاص يراد به العموم وخاص يراد به الخصوص،[٢] ونقل السيوطي[٣] قولا بأن العام الذي يراد به العموم: "وَمِثَالُهُ عَزِيزٌ إذ ما من عَامٍّ إِلَّا وَيُتَخَيَّلُ فِيهِ التَّخْصِيصُ" ويبين السيوطي هنا أن العام الكثير الذي لا يدخله الخصوص كثير في غير الأحكام الشرعية بينما الغالب الأعم في الأحكام الشرعية هو أنه ما من عام إلا ويدخله التخصيص[٤]. ومما أورده السيوطي من أمثلة العام في الأحكام الفرعية قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ**﴾ (المائدة: ٣)، حيث "خُصَّ مِنْهَا حَالَةُ الِاضْطِرَارِ وَمَيْتَةُ السَّمَكِ وَالْجَرَادِ". وكذلك تحريم الربا على عمومه مع تخصيص بيع العرايا بالجواز.

وقد ذكر السيوطي أن العام على ثلاثة أقسام، أولها الباقي على عمومه وإن دخله بعض التخصيص ومثاله ما ذكر من حكم الميتة والربا،[٥] والثاني هو العام المراد به الخصوص ومثاله قوله تعالى: ﴿**أم يحسدون الناس**﴾ (النساء ٥٤)، فلفظ الآية عام في الناس بينما المراد منها واحد وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم،[٦] ثم يذكر السيوطي أن القسم الثالث من العام وهو العام المخصوص كثير في القرآن حيث يقول "ما من عام فيه إلا قد خص"، ويكون التخصيص ملفوظا في

(١) هو أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، ومن مؤلفاته البحر المحيط والبرهان في علوم القرآن

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، الطبعة: الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، ٢١٧/٢.

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، وكتابه الإتقان في علوم القرآن.

(٤) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، درا الكتب المصرية، ١٩٧٤، ٥٠،٥٢/٣.

(٥) السيوطي، الإتقان، ٥٠/٣

(٦) السيوطي، الإتقان، ٥١/٣

نفس الموضع بأساليب مخصوصة منها الاستثناء كقوله تعالى: ﴿**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ (النساء ٢٤)، ومنها صلة الموصول للوصف كقوله تعالى: ﴿**وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ**﴾ (النساء ٢٣)، ومنها الشرط كقوله تعالى: ﴿**فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا**﴾ (النور ٣٣) ومنها الْغَايَةُ كقوله تعالى في شأن الحائض: ﴿**وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾ (البقرة ٢٢٢) ومنها بَدَلُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ كقوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ (آل عمران ٩٧)، وقد يقع الخصوص لنص عام في موضع غير الموضع الذي ذكر فيه العام كآية أخرى أو سنة أو إجماع أو قياس، وَمثال ما خصص بآية قَوْلُهُ تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ**﴾ (النور ٢)، فقد خصصت بآية النساء: ﴿**فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ**﴾ (النساء ٢٥)، ومن التخصيص بالسنة قوله تعالى: ﴿**وأحل الله البيع**﴾ (البقرة ٢٧٥)، فقد خصصت بتحريم الْبُيُوعُ الْفَاسِدَةُ كما نصت عليها السُّنَّةِ، ويضرب السيوطي أيضا "أَمْثِلَةِ مَا خُصَّ بِالْإِجْمَاعِ آيَةُ الْمَوَارِيثِ خُصَّ مِنْهَا الرَّقِيقُ فَلَا يَرِثُ بِالْإِجْمَاعِ، وقال أيضا: "وَمِنْ أَمْثِلَةِ مَا خُصَّ بِالْقِيَاسِ آيَةُ الزِّنَا: ﴿**فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ**﴾ (النور ٢)، فقد خص منها العبد بالقياس على الأمة كما نصت عليه آية: فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ (النساء ٢٥)[(١)] كما ذكر السيوطي أنه من القرآن ما يخصص عموم السنة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فقاتلوا التي تبغي**﴾ (الحجرات ٩)، فهذا الأمر الإلهي بقتال الفئة المسلمة الباغية يخصص عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار.

وتناول الزركشي تعريف العموم والخصوص من حيث الجهة المُخَاطَبَة به إلى أربعة أنواع من الخطاب:

١- خطاب العام يراد به العموم ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا**﴾ (يونس ٤٤).

(١) السيوطي، الإتقان، (٣/٥٣- ٥٥).

٢- خطاب الخاص ويراد به الخصوص ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ (الأحزاب ٣٧).

٣- خِطَابُ الْخَاصِّ وَالْمُرَادُ بِهِ العموم ومنه قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ (الطلاق ١)، فالخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أن الحكم المستفاد من الآية ينسحب على عموم المسلمين فيما يتعلق بمسألة الطلاق، وقد يقع التخصيص في آية أخرى على نحو ما ذكره السيوطي.

٤- خطاب العام والمراد به الخصوص، وهو ما ذكره السيوطي في باب العام المخصوص، ويكون تخصيصه بدلالة لفظية في نفس الموضع وقد يرد التخصيص بموضع آخر من كتاب الله ومن ذلك الأمثلة التي ذكرها السيوطي سابقا في هذا الباب[1].

ويتبين من الأمثلة التي أوردها كل من السيوطي والزركشي أن التخصيص على نحو ما ذكروه يقع في الغالب الأعم في الأحكام الشرعية.

ويتبين مما سبق أيضا أن العام من آيات القرآن هو ما اقتضى لفظُه عمومَ التطبيق بغض النظر عن سبب نزوله، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأن تخصيص العام لا يكون إلا بقرينة دالة على التخصيص، والخاص بدلالته في القرآن استدراكٌ على العام بشرط أو حال معينة بحيث إذا تحقق الشرطُ أو وُجِدَت الحالُ تعين التخصيص. ومن هنا فإن اختصاصَ الخاص ليس اختصاصا تاريخيا، ولا يتقيد بحدود الزمان والمكان ما لم ينصُ القرآن على ذلك، وكذلك العام لا يتجاوز حدود اللغة والتاريخ إلى الحد الذي يصبح فيه النصُ وعاءا فارغا عاريا عن الدلالة اللغوية.

---

(١) الزركشي، البرهان، ٢/٢١٧-٢٢٢

العام والخاص في فلسفة التأويل الغربية

تتخذ إشكالية العام والخاص في النظرية الحداثية بعدا فلسفيا تأويليا يمنح العقل والسياق التاريخي والتجربة الإنسانية حاكمية على النص، وإن أدى ذلك إلى تأويل النص بمعانٍ تخالف دلالته اللغوية. وقد برز هذا المنهج التأويلي في القرن الثامن عشر حيث وقع تحوُّل في هيرمينيوطيقا (تأويل) الكتاب المقدس وتأثرت عملية التأويل بظهور المبدأ العقلاني وكذلك ظهور علم فقه اللغة والمنهج التاريخي النقدي للأديان، وبرزت مجموعة من علماء الدين مثل ارنيستي Ernesti (١٧٠٧ – ١٧٨١) وسبينوزا Spinoza (١٦٣٢ – ١٦٧٧) وكان هؤلاء ينادون بأهمية إخضاع النص المقدس لنفس مناهج التأويل العقلية والنقدية والتاريخية التي يتم تطبيقها على النصوص الأدبية، وذلك في محاولة لعقلنة النص الديني وتفسيره بما يتلائم مع العقل البشري (Palmer ١٩٦٩، ٣٨). ومن هنا برزت أهمية السياق التاريخي للنص وأن المُفَسِّر يجب عليه كما يقول سملر Semler (١٧٢٥ – ١٧٩١) أن يكيف النصوص التاريخية حسب ما يتطلبه السياق المعاصر المتغير بعد أن يُثْبِت المُفَسِّر تاريخينية هذه النصوص (Dilthey ١٩٩٦، ٧٧/٤). ويعد سبينوزا من أبرز من ابتدأوا المنهج التاريخي النقدي، ويتضح ذلك من خلال رسالته *Theological-Political Treatise* والتي بين فيها منهجه العقلاني النقدي والذي بمقتضاه ينبغي على المُفَسِّر أن ينبذ كل الأساطير والخرافات والعوامل الثقافية التي يمتليء بها الكتاب المقدس ثم إعادة تفسير الكتاب المقدس على نحو يتلائم وواقع الانسان المعاصر، ويؤكد سبينوزا من خلال نظريته عن الوحدوية monism تعدد الحقيقة، كما يفرق سبينوزا بين الحقيقة والمعنى فينما تتعدد المعاني إلى درجة التناقض فإن هذه المعاني المتعددة كلها تبقى منبثقة عن الحقيقة الإلهية المطلقة[1].

(1) Baruch Spinoza, *Ethics Treatise on the Emendation of the Intellect*, trans. Samuel Shirley, edit Seymour Feldman (Indiana; Indianapolis; Hackett Publishing Company Inc.), 1992, 14-15, Roy Harrisville, and Walter Sundberg, *The Bible in Modern Culture: Theology and Historical-Critical Method from Spinoza to Kasemann* (Grand Rapids, Mich.: W.B. Eerdmans Pub. Co.), c1995, 39, 43, Richard s. Briggs, "What_Does Hermeneutics =

وعندما جاء شلايرماخر Schleiermacher (١٧٦٨ - ١٨٣٤) عرَّف الهيرمينيوطيقا على أنها علم التأويل العام general hermeneutics ، علمًا يختص بفهم النصوص بصفة عامة ويقوم على قواعد منهجية معينة.[١] وحسب شلايرماخر فإن الهيرمينيوطيقا ينبغي أن تجمع بين شمولية المعنى وبين تاريخنية النص، فوظيفة المُفَسِّر تكمن في فهم النص من خلال الحس الأخلاقي الذي يتمتع به البشر كافةً، ثم يتعين على المُفَسِّر أن يعبر عن مفهومه الحسي للنص من خلال سياقه التاريخي بما يتلائم مع واقعه، وبالتالي بينما يبقى هذا الحس الأخلاقي الذي نشأ عنه التفسير هو المبدأ العام الشامل لفهم كل نص من النصوص يبقى التفسير المنبثق عن هذا المبدأ تفسيرًا خاصًا لا يُعَبِّر إلا عن الظرف التاريخي الذي قيل فيه، وتعتمد عملية التأويل عند شلايرماخر على هذه العلاقة بين العام والخاص والكل والجزء،[٢] فكلام المفسر يمثل الصورة الجزئية التاريخية للنص بينما يمثل النص بعموم ألفاظه ذلك العام الكلي الذي ينبنى عليه الجزء، وهكذا ينبثق الجزء عن الكل ويبقى الكل مصدرا لصياغة الجزء على مر التاريخ وهو ما يعرف

Have to Do with Biblical Interpretation," *Heythrop Journal*. Jan2006, vol. 47, Issue 1, p55-74. 20p. DOI: 10.1111/j.1468-2265.2006.00279.x., 55, 58, 74.

(1) Richard E. Palmer, *Hermeneutics: Interpretation Theory in Schleiermacher, Dilthey, Heidegger, and Gadamer* (Illinois: Northwestern University Press), 1969, 40.

(2) Friedrich Schleiermacher, *On Religion: Speeches to its Cultured Despisers,* translated and edited by Richard Crouter (Cambridge [England]; New York, NY: Cambridge University Press), 1996, Roy Harrisville, and Walter Sundberg, *The Bible in Modern Culture,* 70, Allen G. Jorgenson, *The Appeal to Experience in the Christologies of Friedrich Schleiermacher and Karl Rahner* (New York: P. Lang, c2007), 68-69, Walter E. Jr. Wyman, "Revelation and the Doctrine of Faith: Historical Revelation within the Limits of Historical Consciousness." *The Journal of Religion,.* vol. 78, No. 1. Jan., 1998. PP. 38 – 63, 45, *http://www.jstor.org/stable/1205825.7*

باسم hermeneutical circle .[1].

ويتميز منهج شلايرماخر بأنه يبحث في نفسية المؤلف أو ما يعرف باسم (psychologising of the author) بحيث يجعل من المعنى الظاهر للنص انعكاسا لمراد المؤلف في ظرف تاريخي معين، بينما يبقى البحث في مراد المؤلف بابا مفتوحا لإعادة تفسير النص في الواقع الجديد المعاصر.

وتطورت بعد ذلك الهيرمينيوطيقا حيث أضافت إلى تاريخها المعرفي مبدءًا أخرَ لا يرتكز على كون الهيرمينيوطيقا علمًا أو منهجًا يتألف من قواعد أو يهدف إلى استنباط تأويلات علمية، وإنما أصبحت الهيرمينيوطيقا أداةً لتحليل النصوص من خلال الوجود الإنساني، ومن أبرز من أسسوا لهذه النزعة التأويلية الوجودية هو هيدجرHeidegger (١٨٨٩ – ١٩٧٦) والذي يرى أن التأويل والفهم هو أحد أشكال الوجود الإنساني في هذا العالم، وأن المعنى رغم أنه يكمن في النص إلا أن النص لا يصح منه إلا بقدر ما يدل على ما يشعر به المفسر ويفهمه من هذا النص.

ثم تحولت الهيرمينيوطيقا إلى قانون تأويل يهدف إلى الوصول إلى المعاني الباطنة للنص من خلال معانيه الظاهرة، فالنص ذو معان متعددة، وبينما يُمثِّل كل معنى من المعاني وحدة منفصلة إلا أن معاني النص مجتمعة تمثل وحدة موضوعية واحدة حسب ما يقوله بول ريكور Paul Ricoeur (١٩١٣ – ٢٠٠٥)، ويرى ريكور أن المُفَسِّر للكتاب المقدس حينما ينفتح على عالم النص فإنه يعتقد مسبقا أن الوحي هو المرآة التي يرى فيها نفسه، ومن خلال هذا الاعتقاد فإن صورة الرب دائما حاضرة في ذهن المُفَسِّر حيث لا تناقض لديه بين الحياة وصورة المسيح، ومع هذا فإن ريكور يرى أن المُفَسِّر عليه أن ينظر في المعاني الباطنة وألا يُؤصِّل للمعاني الظاهرة- بل على المُفَسِّر أن يعمل على تنقية الكتاب المقـــدس من الخـــــرافات

(1) Yong Huang, "The Father of Modern Hermeneutics in a Postmodern Age: A Reinterpretation of Schleiermacher's Hermeneutics", *Philosophy Today,* Summer96, vol. 40 Issue 2, p251. 12p, 251, Kristin Gjesdal, "Hermeneutics and Philology: A Reconsideration of Gadamer's Critique of Schleiermacher," *British Journal for the History of Philosophy*, Feb2006, vol. 14 Issue 1, p133-156. 24p, 3, DOI: 10.1080/09608780500449206

والأقاصيص الأسطورية [1].

تمثل هذه الاتجاهات التأويلية أهم مبادئ الهيرمينيوطيقا الغربية وتطورها في ظل الحداثة وما بعد الحداثة. ولقد كان لهذا التراث الغربي للهيرمينيوطيقا أثره في ظهور مناهج تأويلية حداثية في تفسير القرآن الكريم تعني بالجوانب اللغوية والنفسية والاجتماعية والتاريخية للنص القرآني، ومن هذه المناهج المنهج البياني الذي تبلور على يد الشيخ أمين الخولي (١٨٩٥ – ١٩٦٦) وتتطور بعد ذلك على يد تلامذته أمثال محمد أحمد خلف الله (١٩٠٤ – ١٩٨٣) وعائشة عبد الرحمن (١٩١٣ – ١٩٩٨). ومن أبرز الأطروحات في هذا المجال وأقربها للهيرمينيوطيقا الغربية الدِّراسة الخاصة بنصر حامد أبو زيد (١٩٤٣ – ٢٠١٠)[2] لمفهوم النص القرآني والتي ضَمَنَّها كتابه "مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن".[3] وللهيرمينوطيقا الغربية وتطبيقاتها في مجال الدراسات القرآنية الحديثة أثر كبير كذلك في ظهور التفسير النسوي للقرآن وخاصة في التفرقة بين العام والخاص من النصوص وذلك على النحو الذي يبينه الباحث فيما يلي.

---

(1) Roy Harrisville, and Walter Sundberg, *The* Bible *in Modern Culture, 214-18*

(٢)كاتب ومفكِّر وباحث أكاديمي، متخصِّص في الدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، تعمَّق في دراسة النص القرآني وتأويله، وقد أثارت بعضُ أفكاره الكثيرَ من الجدل؛ وهو الأمر الذي وصل إلى اتِّهامه بالرِّدَّة والإلحاد، ورُفِعت دعوى قضائية ضده في منتصف تسعينيات القرن الماضي بغرض تفريقه عن زوجته.

(٣) أبو زيد، مفهوم النص، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٤.

العام والخاص في التفسير النسوي

يقتبس العام والخاص حسب التفسير النسوي تعريفَه من ثنائية العام والخاص في فلسفات التأويل الغربية التي سبق بيانها، فالنسوياتُ المسلمات يعرِّفن العام في القرآن بأنه مجموعُ القيم الأخلاقية العامة التي يدعو إليها القرآن في مجمله وهذه القيمُ لا تتغيرُ بتغير الزمان أو المكان، وأما الخاص فهو يتعلق بتفسير الآيات القرآنية تفسيرا يستند إلى فهم المفسر للقيم الأخلاقية العامة للقرآن، ويختلف تفسيرُ الآية الواحدة من مفسر إلى مفسر نظرا لاختلاف أفهام المفسرين باختلاف الزمان والمكان والظرف التاريخي، وبغض النظر عن دور اللغة في فهم النص.

وتتبنى المفسرات النسويات هذا التعريف الفلسفي الحداثي بل ويقمن بتفكيك التعريف الأصولي للعام والخاص، حيث ترى آمنة ودود أن النص القرآني وإن دلت ألفاظه على العموم فإنه يظل مرتبطا بالسياق العام لشبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، وهو ما يجعلُ هذا النص القرآني رغم عمومِ ألفاظه حبيسَ الظرف التاريخي الذي نزل فيه وبالتالي فإنه لا يصحُ تطبيقُه على سياق أخر مختلف، فآية القيام على الزوجة الواردة في سورة النساء على سبيل المثال بعموم ألفاظها تصلح لمعالجة قضايا الأسرة في السياق العام للعرب الذين كانوا يعيشون في الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، بينما لا تصلحُ نفسُ الآية لمعالجة قضايا الأسرة في السياق العام للأسرة المسلمة في القرن العشرين.[1]

ونستخلص من ذلك أن العامَ من نصوص القرآن حسب تعريف الأصوليين يقتضي العمومَ لفظا ومعنىً دون التقيدِ بالظرف التاريخي لهذه النصوص، بينما ترى ودود أن هذه النصوصَ القرآنية العامة في ألفاظها من قبيل العام الذي يقتضي العمومَ فقط في السياق الذي نزلت فيه، دون أن يتعدى هذا العمومُ ذلك السياق إلى سياق تاريخي أخر. ويعني هذا حسب ودود أن جميعَ نصوص القرآن بما فيها العام والخاص من حيث الألفاظ والدلالة اللغوية هي من باب الخاص الذي يجب تقييدُه بالسياق الزمني لنزول الوحي.

(1) Amina Wadud, *Inside the Gender Jihad: Women's Reform in Islam* (Oneworld: Oxford, 2006), 194.

وبهذا تتجاوز ودود حدود التعريفِ الأصولي لكل من العام والخاص وتقدم تعريفا جديدا أشبهَ بثنائية العام والخاص في الفلسفة الغربية الحديثة وخاصة في مجال تأويل النصوص.

وعليه فإن ودود تُعَرِّفُ العامَ بأنه الصورةُ المثالية الأخلاقية المستفادة من النص القرآني في مجمله والتي تحضُ على قيم العدل والرحمة والمحبة والإحسان وغيرها من القيم الأخلاقية المجردة التي لا يختلف عليها اثنان في زمن من الأزمان، وهذه الصورة الأخلاقية لا يمكن أن تحويها أو أن تعبرَ عنها بصورة كاملة لغةٌ من اللغات البشرية،[١] بما في ذلك اللغةُ العربية وبالتالي، فإن مكوناتِ هذه الصورةِ الأخلاقية وحدودَها المعرفية تظل دائما في حالة تغيرٍ وتطور، وتسير في حركة متوازيةٍ مع حركة التاريخ الإنساني. وبمعنى أخر يمكن تعريفُ العام – حسب رؤيةِ ودود – بأنه شكلٌ من أشكال الكشف الإلهي الذي يتجددُ مع كل قراءةٍ جديدةٍ للنصِ القرآني، فالعام هو الحق المطلق وهو مرادُ اللّه الذي لا تنقضي معانيه بل تتعددُ معانيه وتختلفُ باختلاف الزمان والمكان والأشخاص،[٢] ومن ثم فلا ضير من وجود تأويلات متعددة بل ومتناقضة للنص القرآني الواحد كما تقول ودود، بل إن ودود لا ترى أن ذلك تناقضا في التأويل وإنما هو من قبيل الاستحسان حيث يتخيرُ المفسرُ من جملةِ التأويلاتِ الممكنةِ للنصِ التأويلَ الأنسبَ لسياقه وظروفه،[٣] ويعد ذلك كما تقول بارلاس من باب قوله تعالى: الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (الزمر: ١٨). ومن ثم يصير العامُ – حسب تعريف ودود وبارلاس – أداةً تُمَكِن المفسرَ من فهم النص بما يتلائم واحتياجاتِ مجتمعه وظروفه الخاصة[٤].

وبصرف النظر عن اللفظ القرآني، فإن مهمة المفسرِ هي الوصول إلى ذلك العام المتمثل في مراد اللّه آخذا في الاعتبار متطلباتِ العصر الذي يعيشُ فيه.

(1) Amina Wadud, *Qur'an and Women: Rereading the Sacred Text from a Woman's Perspective* (New York: Oxford University Press, 1999, Wadud, *Inside the Gender Jihad*, 212-213)

(2) Wadud, *Inside the Gender Jihad*, 212-213.

(3) Wadud, *Inside the Gender Jihad*, 212-213.

(4) Barlas, *Believing Women in Islam*. 2019. 28-32.

وبعبارة أخرى وكما تقول بارلاس فإن مهمة المفسر هي أن لا يشغلُ نفسَه بالنص على الإطلاق وإنما يشغلُ المفسرُ نفسَه بما وراءَ النصِ من مقاصدَ إلهية.[١] ولذلك ترى ودود أن العام أو الكلي بمعنى أدق لا يوجد في النص القرآني صراحة وإنما يُتَوَصَّلُ إليه بطريق العقل والتجربة الإنسانية، وأما النصُ فما هو إلا دليلُ إشاري يدل على ما قد يظنُّه المفسرُ المقصدَ الإلهيَ من وراءِ النص[٢].

وأخيرا فإن المقصدَ الإلهي والذي تعبر عنه ودود بالعام أو الكلي لا ينكشفُ انكشافا كليا في عصر من العصور ولا لواحد من الناس بما في ذلك النبيُ صلى الله عليه وسلم.

ويظلُ ذلك العام أو الكلي – كما تقول النسويات – هو الشيء الوحيد المقدس في القرآن حيث يستمد هذا العام قداستَه من أمرين اثنين:

الأمر الأول كون هذا العام لا ينكشفُ انكشافا كليا لواحد فقط من الناس أو في عصر واحد فقط من العصور.

والأمر الثاني هو أن كل ما يدل على هذا العام من عبارات منطوقة بما في ذلك النص القرآني يظل محدودا بحدود اللغة التي عبرت عنه والثقافةِ التي تكون خلالها.

وبالتالي وكما تقول ودود فإن جميعَ تفاسيرِ القرآن لا قداسةَ لها كونُها منتجا بشريا يعبر عن فهم العام في حِقبة تاريخية معينة، ليس هذا فقط بل إن المحتوى اللغوي للنص القرآني نفسَه عارٍ عن القداسة، فالنص القرآني ليس سوى عباراتٍ منطوقةٍ تدل على مراد الله، وهذه العباراتُ ينبغي أن تفقدَ قداستَها مع مرور الزمن كونُها نزلت بلغة لا تعبر إلا عن ثقافة العرب في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي.[٣] ومن هنا نستخلص أن القرآن بأكمله كنص لغوي هو نصُ

(1) Barlas, *Believing Women in Islam*، 223-225.

(2) Wadud, *Inside the Gender Jihad*, 212-213.

(3) Wadud, *Inside the Gender Jihad*, 132، 174، 179، 195، 198, Barlas, Believing Women in Islam, Asma Barlas, "Secular and Feminist Critiques of the Qurʾan: Anti-Hermeneutics as Liberation?" *Journal of Feminist Studies in* =

ظنيُّ الدلالة (في أحسن صورة) وأنه لا قطعيَ في القرآن إلا الحكمةَ الإلهية من وراء النص والتي تظلُّ غيرَ معلومةٍ وإذا عُلِمَت فلا يلزم من علمها ثابتٌ يقيني.

وترى ودود وكذلك سائرُ المفسرات النسويات أن الحكمةَ الإلهية من وراء النصوص تنحصر في ترسيخِ القيم الإنسانية الأخلاقية العامة مثل قيم العدل والمساواة وتحريم الظلم والتراحم والمحبة إلى غير ذلك من المعاني المجردة التي تختلف في تطبيقها حسب فهم المفسر. وبالتالي فعند تفسير آية قرآنية معينة فإن المفسرَ ينبغي عليه أن ينظر في المقصد الإلهي من وراء النص بدلا من أن ينظر في النص ذاته. ومن ثم فالنص القرآني لا قداسةَ فيه سوى كونِه إشارة قد تدل على مراد الله، وبالتالي فكلُّ تفسيرٍ للنص القرآني يقوم على اعتبارِ مراد الله والحكمة الإلهية من وراء النص فهذا التفسيرُ هو تفسيرُ صحيح وإن خالف عبارةَ النص ذاته، فالنصُّ ليس سوى دليلٍ على مراد الله.

وتقدمُ بارلاس في كتابها "المؤمنات" عرضا مماثلا لتعريف العام والخاص، فالخطاب الإلهي القرآني في مجمله هو من قبيل العام بينما إدراكُ البشرِ وفهمُهم لهذا الخطاب هو من قبيل الخاص، وكما تقول بارلاس فإن دائرةَ العام تتسعُ عندما نتعامل مع النص القرآني من منطلق الفرضية الآتية: وهي أن القرآنَ لم يتناول قضايا العصر الحديث بأوصافها الحالية، حيث إن نزولَ القرآنِ سابقٌ على وجود هذه القضايا بأوصافها المعاصرة ،[1] وبالتالي فإن معالجةَ مثل هذه القضايا يجب أن يتم بالرجوع إلى القيم الأخلاقية العامة للقرآن التي تكمن وراء النص. ويجب التنبيهُ هنا على أن بارلاس لا تقصد القضايا التي لم يتحدث عنها القرآن مطلقا مثل زراعة الأعضاء أو غيرها من القضايا التي لا سوابق لها في عصور ما قبل الحداثة. وإنما تقصد بارلاس أن حتى قضايا الأسرة بمفهومها الحديث وما تنطوي عليه من قضايا القيام (أو ما يعرف بالقوامة) والطلاق والميراث، تقصد بارلاس أن هذه القضايا ومكوناتِها تطورت عبر المجتمعات الإنسانية حيث صار لها أوصافٌ وسياقاتٌ مختلفة عما كانت عليه في زمان الوحي، وبالتالي ترى بارلاس وكأن

Religion 32, no. 2 (2016), 115-116.

(1) Barlas, *Believing Women in Islam*، 41

القرآن لم يتناول هذه القضايا على الإطلاق أو أن تناولَ القرآن لهذه القضايا يظل مفتقدا لبعض الأوجه العصرية والمستجِداتِ التي لم تكن موجودةً حال التنزيل. والذي ترمي إليه بارلاس من خلال هذه الفرضية هو الوصولُ إلى نظرية تأويلية تقوم على تجاوزِ النص ودلالته اللغوية والتاريخية من جهة واعتبارِ المقصدِ العام الأخلاقي للقرآن في مجمله من جهة أخرى كأساسٍ في عملية التأويل. وهذا يعني أن التفسيرَ الذي يقوم على مراعاة القيم الأخلاقية للقرآن هو تفسيرٌ صحيح وإن عارضَ هذا التفسيرُ النصَ لغة ومفهوما، والعكسُ صحيح، وهو أن التفسيرَ الذي يعارضُ القيمَ الأخلاقية العامة للقرآن هو تفسيرُ غيرُ صحيح وإن اتفق هذا التفسيرُ مع النص لغة ومفهوما. ولكن يبقى السؤال: ما هي حدودُ هذه القيم الأخلاقية العامة للقرآن، ومن المخولُ بتعريفها وترسيم معانيها، هل هو المفسرُ أم المجتمع، وهل ثمةُ أدلةٌ منهجية تعين على التعرف على معاني الأخلاق في سياقات مختلفة، وأخيرا وهو الأهم ما هو دورُ السياقِ التاريخي واللغوي في تشكل هذه القيم ومفهومها في العقل الجمعي؟

ثلاثة عناصر في عملية التأويل

وانطلاقا من هذه الآراء التي تتعلق بثنائية العام والخاص في التفسير النسوي، نجدُ أن عمليةَ التأويل لأي نصٍ من نصوص القرآن – حسب التفسير النسوي – تشتمل على ثلاثةِ عناصر:

العنصر الأول هو النص القرآني، وهذا النصُ من حيث كونه نصا لغويا لا ثقلَ له لأنه محدود بلغة العرب وثقافتها، ولا دورَ له سوى أنه نافذةٌ تدل على المقصد الأخلاقي من الوحي كما يراه المفسر.

العنصر الثاني هو ذلك المبدأ الأخلاقي من وراء النص وهو الذي يمثل العام من القرآن، وهو الأساس الذي ينبني عليه التأويلُ بصرف النظر عن لغة النص.

العنصر الثالث هو اعتبارُ السياقِ التاريخي الماضي الذي تكون فيه النص وكذلك السياق الحاضر الذي يستدعي المفسر النص لأجله، فكلا السياقين الماضي والحاضر يمثلان جزءا من التاريخ، وما ينتج من تأويل للنص باعتبار سياقيه الماضي والحاضر يمثلُ الخاصَّ من القرآن في منهجية التأويل النسوي، وبالتالي يصبح أي تفسيرٍ للقرآن – حسب التفسير النسوي – هو تفسيرٌ نسبي يعبر عن حالةٍ تاريخية معينة لا تتجاوزُ السياقَ الذي نشأت فيه ومنه وحوله.

وتقوم منهجيةُ التأويل النسوي بالأساس على اعتبار مركزية العام وعلى القراءة الأخلاقية للقرآن، بصرف النظر عن النص، فالنصُ القرآني بلغته حسب التفسير النسوي ليس إلا عبارات منطوقة يعكسُ فهمَ النبي صلى الله عليه وسلم للمقصد الأخلاقي والإلهي في حقبةٍ زمنية وحدود جغرافية معينة وهي القرنُ السابعُ الميلادي في جزيرة العرب.

وهنا ثمةُ أسئلةٌ يطرحها الباحث حول تعريف التفسير النسوي لثنائية العام والخاص:

أولا إذا كان النصُ القرآني ليس سوى تعبيرٍ عن مفهومِ النبي للمقصد الأخلاقي للنص فما الفرق حينئذ بين النص القرآني وتفسيرِه غيرَ أن كلا منهما تمت صياغتُه بعبارات مغايرة؟ بل ما الفرق بين القرآن وتفسيره إن كانت اللغةُ التي صاغت كليهما لغة محدودة ومفرداتها عاجزةً عن إدراك مراد الله بلسان مبين.

ثانيا ما هي أفضلية القرآن على باقي النصوص الأخرى في هذه الحالة؟

ثالثا ما الحاجة إلى النص القرآني بعد كل ذلك؟

هذه التساؤلات يثيرها المنهجُ النسوي الذي يقوم على مقدمتين متناقضتين:

المقدمة الأولى: أن هذا المنهجَ ينطلق من النص وإقرار قدسيته ومصدره الإلهي.

المقدمة الثانية: أن هذا المنهجَ يفرضُ على النص معانيَ مخالفةً له من حيث لغته ودلالته.

وواقع الحال هنا أن المفسرَ لا يعتدُ بالنص وإنما يعتدُ بالبحث في المقاصد الإلهية التي قام عليها النص، إضافة إلى أن هذه المقاصدَ تخضع دائما في تفسيرها لضمير المفسر وحسه وذوقه الأخلاقي، بدلا من أن تخضع لقواعدَ منهجيةٍ أو معرفيةٍ محددة، وهو ما قد يؤدي إلى تفسيراتٍ متناقضةٍ للنص الواحدِ نظرا لاختلاف الحس الأخلاقي من مفسرٍ إلى أخر.

وبالنظر في هذا الطرح النسوي الإسلامي يبقى السؤالُ بلا جواب حول مدى صحةِ قول بارلاس وودود بأن التفسيرَ النسوي لا ينازعُ في قدسية القرآن وأنه يقرُ بأن القرآنَ هو كلامُ الله الأزلي وأنه غيرُ مخلوق؟ وهل يمكن الجمع دون تناقضٍ بين هذا القولِ لودود وبارلاس وبين مقاربتهما التأويلية التي تقومُ على دراسةِ النصِ القرآني كمنتجٍ ثقافيٍ تاريخي؟ فبينما ترى بارلاس أن القول بأن النصَ القرآني منتجٌ تاريخيٌ هو ضربٌ من الهرطقةِ التي تنتقص من قداسة القرآن، فهي أيضا في نفس الوقت تحاولُ أن تحافظَ على هذه القداسةِ من خلال مقاربة تأويليةٍ تقومُ على قراءةِ النصِ القرآني قراءةً سياقيةً تاريخيةً من جهة ثم إخضاعه لتجربةِ المفسرِ الإنسانية وحسه الأخلاقي من جهةٍ أخرى.

ورغم أن بارلاس تنتقدُ نصر حامد أبوزيد[1] لقوله أن القرآنَ منتجٌ ثقافيٌ وأنه تكونَ من خلال حركةِ الواقعِ والثقافة، إلا أن كلا من "أبو زيد" وبرلاس توصلا إلى

(1) Barlas, Secular and Feminist Critiques of the Qurʾan, 115.

نفس النتائج وإن اختلف منهجُ كل منهما. وأشير هنا إلى نقاطِ التلاقي بين كلٍ من بارلاس وأبو زيد (وبين كليهما سجال فكري منشور) كما يلي:

أولا يقر كلاهما أن النصَ القرآني تكون من خلال الثقافة العربية في القرن السابع وأن لغتَه العربية هي لغةٌ بشريةٌ تتغير دلالاتُها عبرَ الأزمان.(١)

ثانيا يرى كلاهما تغيرَ المعاني حسب تغير السياق

ثالثا أن كلاهما يستنطق النص بما لا ينطق به.

رابعا يرى أبو زيد وودود وبارلاس أن القرآنَ نزل من عند الله على النبي صلى الله عليه وسلم في صورة رموز وأن القرآنَ بلغته وصلَ إلينا عبر عقلِ النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(1) Nasr Hamid Abu Zayd, "Rethinking the Qur'an: Towards a Humanistic Hermeneutics," https://www.academia.edu/36957262/Rethinking_the_Quran_Towards_a_Humanistic_Hermeneutics_prof._dr._Nasr_Abi_Zayd, 2004, accessed 04/12/2019, 13, 16, 17, Nasr Hamid Abu Zayd, *Critique of Religious Discourse*, translated by Jonathan Wright (New Haven: Yale University Press, 2018), 144-5,

أبو زيد، نقد الخطاب الديني، النسخة الثانية، القاهرة، سينا للنشر،1994، 121، 133، 144، 203، 204، 213، 223-225 ، تصر حامد أبو زيد، مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن. الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي بالرباط 2014 .

الخاتمة

وبالنظر في المقاربة التأويلية لكل من ودود وبارلاس، يتبين أن المشروع النسوي لتأويل القرآن هو ضرب من التأويل الباطني يهدف إلى تفكيك النص وتجريده من دلالاته اللغوية والحكم على ألفاظه بالعجز عن تجاوز السياق التاريخي إلى الواقع المعاصر سوى أن يكون النص نافذة تدل على ما قد يصل إليه المفسر من معان خفية فيه تتجاوز حدود اللغة والثقافة والتاريخ، فالمعنى لا يوجد في النص حقيقة وإنما يبحث عنه المفسر في مراد المؤلف، إلا أن البحث في مراد المؤلف عند المفسرات النسويات لا يلبث إلا أن يصبح دليلا على مراد المفسر ذاته. وقد واجه هذا المنهج التأويلي انتقادا من داخل المشروع النسوي الإسلامي نفسه حيث ترى بعض النسويات المسلمات صعوبة تجاهل دور اللغة في تحديد معاني القرآن،[1] وأن تفسير النص القرآني بمنأى عن دلالاته اللغوية يعكس تفسيرا ذاتيا يفرضه المفسر على النص دون أن يدل هذا التفسير بالضرورة على النص ذاته.[2]

وترى المفسرات النسويات أن التفسير النسوي يكتسب حجية شرعية إسلامية كونه ينطلق من البحث في مراد الله كمصدر ومرجع رئيس لتفسيراتهن للنص القرآني، ومع هذا فقد أخفق المشروع النسوي برمته أن ينال مصداقية أو حجية شرعيه في المجتمعات الإسلامية سواء الأكاديمية أو الشعبوية وذلك نتيجة للتناقض الذي تنطوي عليه المقاربة النسوية لتفسير النص القرآني، فينما يشغل القرآن موقعا مركزيا في المشروع النسوي ككتاب مقدس، إلا أن المفسرات النسويات يتعاملن مع النص القرآني كوعاء فارغ يستطيع المفسر أن يملأه بما شاء من المعاني

(1) Ayesha S. Chaudhry, *Domestic violence and the Islamic tradition* (Oxford: Oxford University Press, 2014), 224, Ayesha Siddiqua Chaudhry. "The Problems of Conscience and Hermeneutics: A Few Contemporary Approaches," *Comparative Islamic Studies* 2, no. 2 (2008): 157, 163, and Kecia Ali, *Sexual Ethics and Islam: Feminist Reflections on Qur'an, Hadith, and Jurisprudence* (Oxford: Oneworld, 2006), 122, 125, 132 – 133.

(2) Hidayatullah, *Feminist Edges of the Qur'an*, 149 – 150, Ali, Sexual *Ethics and Islam*, 133.

دون النظر إلى لغويات النص وتراكيبه أو النظر إلى أي مدى يدل النص على تلك المعاني أو يؤيدها، وهو ما يجعل النص القرآني مجرد مصدر إشاري أو أداة تكميلية يلجأ إليه المفسر فقط إذا توافق مع ما يريده منه. ولذا يمكن القول بأن القرآن عند ودود وبارلاس هو نص معطل من حيث اللغة، وهو ما يجعل هذا الطرح التأويلي نوع من التفسير الحداثي الذي تُستَمد مناهجه من مباديء الهيرمونطيقا الغربية الحديثة والتي تتضمن تاريخينية النص، وتحويله إلى أسطورة وطلاسم تحتاج إلى فك شفرتها، والتركيز على البعد الأخلاقي من وراء النص، وتجريد النص من خصوصيته اللغوية والثقافية والتاريخية، ونقد الموروث التأويلي الذي نشأ حول النص، والتوسع في الاجتهاد بما يتوافق مع احتياجات العصر الحديث دون ضوابط منهجية سليمة.

والمتتبعُ لتطورِ المنهجِ النسوي في التأويل يجدُ أن هذا المنهجَ يقوم الآن على التفرقة بين القرآنِ كدليلٍ إشاريٍ على مراد اللّه والقرآنِ كنصٍ لغوي ينطلقُ منه المفسرُ للبحثِ عن هذه الأدلةِ الإشاريةِ وتتبعِها حتى توصلَه إلى مراد اللّه، إلا أن هذه التفرقةَ الدقيقةَ لا تقدم جوابا شافيا لما يتعلق بموقع قداسة النص القرآني في التفسير النسوي وهي مسألة لا جدال فيها بالنسبة للمفسرات النسويات حيث يؤكدن مرارا وتكرارا على هذه القدسية. ومع ذلك فبينما تصر المفسراتُ النسويات على عجزِ لغة القرآن عن الكشفِ الكامل عن مراد اللّه كونُها لغةً بشرية، نجدُ نفسَ المفسرات على الجانب الأخر ينتقدن أبو زيد وآخرين ممن يرون أن القرآن يختلط فيه البشريُ بالإلهي. ويبقى السؤال الأكثر إرباكا هو: إذا كان النصُ القرآني الذي بين أيدينا بحرفِه اللغوي ودلالته اللغوية غيرَ مقصود لذاته من حيث ما تعنيه ألفاظه اللغوية، فأنى للمفسر أن يصل إلى مراد اللّه من خلاله؟

إن هذا المنهجَ النسوي المتأرجحَ بين قدسية النص القرآني وبشريته من شأنه أن ينتقص من حجية المشروع النسوي ومصداقيته من هذا الوجه في المجتمعات الإسلامية وكذلك الدوائر الأكاديمية الإسلامية، والأهمُ من ذلك أن هذا المنهجَ من شأنه أن يقف أمام أيِ حراكٍ تقدمي نحو تحسين وضع المرأة المسلمة والحدِ من أعمال العنف داخل الأسرة المسلمة، إذا لم يظفر بتأييد من داخل المجتمعات الإسلامية.

وأود أن أوضحَ هنا أن هذا البحث لا يهدف إلى شيطنة التفسير النسوي أو محاربته بأي حال وإنما الهدفُ هو إبرازُ التحدياتِ التي تواجه هذا النوعَ من التفسير، وأهمُ هذه التحديات هي القدرةُ على تغيير واقع المرأة المسلمةِ من خلالِ خطابٍ اسلاميٍ أصيل رصين، وهو التحدي الذي فطنت له المفسرات النسويات منذ البداية وعملنَ جاهداتٍ على مواجهته، إلا أن تأثرَ أطروحَاتِهن بالمناهج الغربية حال دون أن تثمرَ تلك الجهودُ خطابا إسلاميا يتمتع بالثقة والمصداقية بين رجال بل ونساء المجتمعات الإسلامية.

وحيث إن المشروع النسوي قد شق طريقه إلى القاريء العربي من خلال ترجمات وكتابات وندوات علمية، فإن هذا البحث يوصي في الختام بتوجيه عناية الباحثين في مجال الدراسات الإسلامية باللغة العربية إلى دراسة التفسير النسوي بصورة أعمق مما عليه الحال حتى يتسنى للقاريء العربي الوقوف على منطلقات هذا التفسير وما ينطوي عليه من أمور قد تفيد وأخرى تتعارض مع القواعد والضوابط الأصولية لتفسير كتاب الله، على أن يقوم هذا السجال الفكري على أسس موضوعية بين المفسرات النسويات وعلماء الدين دون تحيز أو هضم لحجة المخالف.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

١- أبو زيد، نصر حامد. ١٩٩٤. نقد الخطاب الديني. النسخة الثانية. القاهرة. سينا للنشر.
٢- الزبيدي، فرج. منطلقات الانحراف الفكري لدى آمنة ودود في كتابها القرآن والمرأة. المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية. المجلد ١٨. العدد الرابع، ٢٠٢٢.
٣- الزركشي، بدر الدين. ١٩٨٤. البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. النسخة الثالثة. القاهرة. دار التراث.
٤- السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل. الهيئة العامة المصرية للكتاب. ١٩٧٤.
٥- الشافعي، حسن. حركة التأويل النسوي للقرآن والدين. هيئة كبار العلماء: مجمع مطابع الأزهر الشريف. الطبعة الأولى، ٢٠٢٠.
٦- المراكبي، أسامة عبد الرحمن. النسوية والقرآن رؤية نقدية لكتابات آمنة ودود. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ. العدد الثالث. المجلد الخامس، ٢٠١٩.

المراجع الأجنبية:

1- Abou-Bakr, Omaima. "The Interpretive Legacy of Qiwamah as an Exegetical Construct." In *Men in Charge*, ed. Ziba Ziba. Mir-Hosseini, Mulki Al-Sharmani, and Jana Rumminger. Oneworld Publications, 2015.
2- Abu-Lughod, Lila. Do Muslim Women Need Saving? Cambridge, MA: Harvard University Press, 2013.
3- Abu Zayd, Nasr Hamid. 2004. Rethinking the Qur'an: Towards a Humanistic Hermeneutics. Accessed 04/12/2019.https://www.academia.edu/36957262/Rethinking_the_

Quran_Towards_a_Humanistic_Hermeneutics_prof._dr._Nasr_Abri_Zayd.

4- Abu Zayd, Nasr Hamid. 2006. Reformation of Islamic Thought: A Critical Historical Analysis.Amsterdam; Amsterdam University Press.

5- Abu Zayd, Nasr Hamid. 2014. Mafhum al-Nass: Dirasah fi Ulum al-Qur'an. 1st edition. Morocco: al-Markaz al-Thaqafi al-Arabi.

6- Abu Zayd, Nasr Hamid. 2018. Critique of Religious Discourse. Translated by Jonathan Wright. New Haven: Yale University Press.

7- Ali, Kecia. Sexual Ethics and Islam: Feminist Reflections on Qur'an, Hadith, and Jurisprudence. Oxford,England: Oneworld Publications, 2006.

8- Bauer, Karen. Gender Hierarchy in the Qur'a□n: Medieval Interpretations, Modern Responses. CambridgeStudies in Islamic Civilization. New York, New York: Cambridge University Press, 2015.

9- Barlas, Asma. 2016a. Secular and Feminist Critiques of the Qur'an: Anti-Hermeneutics as Liberation?.Journal of Feminist Studies in Religion, 32 (2): 111 – 21.

10- Barlas, Asma. 2019. Believing Women in Islam: Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'an. La Vergne: Saqi.

11- Briggs, Richard S. 2006. WHAT DOES HERMENEUTICS HAVE TO DO WITH BIBLICAL INTERPRETATION? Heythrop Journal, 47 (1): 55-74.

12- Chaudhry, Ayesha Siddiqua. "The Problems of Conscience and Hermeneutics: A Few Contemporary Approaches." Comparative Islamic Studies 2, no. 2 (2008): 157-70.

13- Chaudhry, Ayesha S. Domestic Violence and the Islamic Tradition. Oxford Islamic Legal Studies. Oxford:Oxford University Press, 2014.

14- Dilthey, Wihelm. Selected Works: Hermeneutics and the Study of History. Vol. IV. Edited by Rudolf A. Makkreel and Frithj of Rodi. Princeton New Jersey: Princeton University Press, 1996.

15- Gjesdal, Kristin. 2006: Hermeneutics and Philology: A Reconsideration of Gadamer's Critique of Schleiermacher. British Journal for the History of Philosophy, 14 (1): 133-56.

16- Harrisville, Roy A. and Sundberg, Walter. 1995. The Bible in Modern Culture: Theology and Historical-Critical Method from Spinoza to K)asemann. Grand Rapids, Mich.: W.B. Eerdmans Pub. Co.

17- Hidayatullah, Aysha. Feminist Edges of the Qur'an. New York, NY: Oxford University Press, 2014.

18- Huang, Yong. 1996. The Father of Modern Hermeneutics in a Postmodern Age; a Reinterpretation of Schleiermacher's Hermeneutics (Friedrich Schleiermacher). Philosophy Today, 40 (2): 251.

19- Ibrahim, Celene. "Verse 4:34 Abjure Symbolic Violence, Rebuff Feminist Partiality, or Seek Another Hermeneutic?" In Muslim Women and Gender Justice: Concepts, Sources and Histories, eds. Dina al-Omari, Juliane Hammer, and Mouhanad Khorchide. Routledge: London and New York, 2020.

20- Jorgenson, Allen G. 2007. The Appeal to Experience in the Christologies of Friedrich Schleiermacher and Karl Rahner. New York: P. Lang.

21- Palmer, Richard E. Hermeneutics: Interpretation Theory in Schleiermacher, Dilthey, Heidegger, and Gadamer. Illinois: Northwestern University Press, 1969.
22- Rahman, Fazlur. Islam and Modernity: Transformation of an Intellectual Tradition. Publications of the Centre for Middle Eastern Studies; 15. Univ. of Chicago Press, 1982.
23- Ricoeur, Paul. Hermeneutics and the Human Sciences: Essays on Language, Action and Interpretation. Edited by John B. Thompson. Cambridge Philosophy Classics. Cambridge: Cambridge University Press, 2016.
24- Schleiermacher, Friedrich. On Religion: Speeches to its Cultured Despisers. Translated and edited by Richard Crouter. Cambridge [England]; New York, NY: Cambridge University Press, 1996.
25- Spinoza, Baruch. 1992. Ethics Treatise on the Emendation of the Intellect. Translated by Samuel Shirley. Edited by Seymour Feldman. Indiana; Indianapolis; Hackett Publishing Company Inc.
26- Wadud, Amina. 1999. Qur'an and Women: Rereading the Sacred Text from a Woman's Perspective. New York: Oxford University Press.
27- Wadud, Amina. 2006. Inside the Gender Jihad: Women's Reform in Islam. Oneworld: Oxford.
28- Wyman, Walter E. 1998. Revelation and the Doctrine of Faith: Historical Revelation within the Limits of Historical Consciousness. The Journal of Religion, 78 (1): 38-63.
29- Hasan al-Shafi'i: The Required Response to Feminist Reinterpretations of the Qur'an - quranica

فهرس الموضوعات

ملخص البحث:..... ٢٣٩
مقدّمة..... ٢٤٣
نبذة عن آمنة ودود وأسماء بارلاس..... ٢٥٠
مبادئ التفسير النسوي..... ٢٥١
تعريف العام والخاص في التراث الإسلامي:..... ٢٥٧
العام والخاص في فلسفة التأويل الغربية..... ٢٦٠
العام والخاص في التفسير النسوي..... ٢٦٤
ثلاثة عناصر في عملية التأويل..... ٢٦٩
الخاتمة..... ٢٧٢
المصادر والمراجع..... ٢٧٥
فهرس الموضوعات..... ٢٧٩